

**جهود الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي في التفسير
العلمي للقرآن الكريم - آيات الله في الكون أنموذجاً**

الدكتورة نصيرة عليوة
قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية - الجزائر
manessa.omriadh@gmail.com

**The efforts of Dr. Mohammed Rabet al-Nabulsi in the
The Verses of – scientific interpretation of the Qur'an
God in the Universe as a case study**

Dr. Nacéra ALIOUA
Department of Arabic Language and Literature, University yahiafares
Medea, Algeria

Abstract:-

Thinking about the creation of the universe and its wonders and miracles is one of the highest worships, which led us to know God, and to realize his greatness and ability, by our mind, thought and conscience, this universe created by God with precise systems governing galaxies, planets and stars, and God deposited in the Qur'an verses referring to these worlds and cosmic sciences, which scientists were able to interpret scientifically. It shows the link between the Qur'anic verses and the revelations of modern sciences with pictures and numbers, and in order to see his miracle, among these scholars, Dr. Mohammed Rateb al-Nabulsi, who was interested in interpreting the Qur'an and translating its verses scientific translation to show his miracle, and among what was written in this field his encyclopedia Tagged with the Encyclopedia of Scientific Miracles in the Qur'an and Sunnah (The Verses of God in The Horizons and The Verses of God in Man), he opened his encyclopedia (The Verses of God in the Horizons) by talking about the universe and the greatness of its creation, and these cosmic verses we chose to be a model of his scientific interpretations.

Keywords: The Nobel Qur'an, Dr. Mohamed Rateb Al -Nabulsi, Scientific interpretation of the Qur'an, Verses of God in the Universe, The Verses of God in Man.

المخلص:-

إن التفكير في خلق الكون وما فيه من عجائب ومعجزات هو من أسمى العبادات، التي توصلنا إلى معرفة الله عز وجل، وإدراك عظمته وقدرته، بواسطة عقلنا وفكرنا ووجداننا، هذا الكون الذي خلقه الله بنظم دقيقة ونواميس مضبوطة تحكم المجرات والكواكب والنجوم، وقد أودع الله في تنزيهه العزيز آيات بينات تشير إلى هذه العوالم والعلوم الكونية، استطاع جهابذة من العلماء أن يفسروها تفسيراً علمياً يظهر الروابط الوثيقة بين الآيات القرآنية وما كشفت عنه العلوم الحديثة بالصور والأرقام، ومن أجل الوقوف على أوجه إعجازه، من بين هؤلاء العلماء الدكتور محمد راتب النابلسي، الذي اهتم بتفسير القرآن وترجمة آياته ترجمة علمية لإظهار إعجازه، ومما جادت به قريحته في هذا المجال موسوعته الموسومة بـ"موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (آيات الله في الآفاق وآيات الله في الإنسان) افتتح موسوعته آيات الله في الآفاق بالحديث عن الكون وعظمة خلقه، وهذه الآيات الكونية اخترناها لتكون أمودجاً لتفسيراته العلمية.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الدكتور محمد راتب النابلسي، التفسير العلمي للقرآن، آيات الله في الكون، آيات الله في الإنسان.

١. مقدمة:

القرآن كلام الله المعجز بآياته، أنزله الله هادياً لنا ومخبراً إيانا بأمر غيبية منها ما تحقق ومنها ما لم يتحقق بعد، كما أخبرنا منذ أربعة عشر قرناً بحقائق علمية أصبحت تكتشف اليوم وتفسر بواسطة العلوم الحديثة، وهذا جانب من جوانب إعجازه دون أن ننسى إعجازه اللغوي والتشريعي، يقول الله عز وجل في محكم تنزيله: ﴿قُلْ لَنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَآ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء ٨٨) قد سخر الله علماء أفاضل كرسوا جهودهم لتأويله وتفسيره، هناك من العلماء من فسر آيات الله تعالى تفسيراً علمياً، خاصة مع التطور العلمي الذي يشهده العالم. ومن بين هؤلاء العلماء الدكتور محمد راتب النابلسي الذي اهتم بتفسير القرآن وترجمة آياته ترجمة علمية لإظهار إعجازه، ومما جادت به قريحته في هذا المجال موسوعته الموسومة بـ "موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (آيات الله في الآفاق وآيات الله في الإنسان) افتتح موسوعته آيات الله في الآفاق بالحديث عن الكون وعظمة خلقه، وهذه الآيات الكونية اخترناها لتكون أنموذجاً لتفسيراته العلمية، فالإلى أي مدى وفق الدكتور راتب في الربط بين المكتشفات العلمية الدقيقة والمثبتة حديثاً الخاصة بآيات الله الكونية وبين آيات الله القرآنية التي نزلت منذ أكثر من أربعة عشر قرناً؟

٢. التفسير العلمي للقرآن الكريم:

١.٢. المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتفسير العلمي للقرآن:

التفسير العلمي للقرآن هو محاولة لتوظيف العلم التجريبي في توضيح معاني الآيات القرآنية وتوسيع مدلولاتها، وبعبارة أخرى هو تفسير آيات القرآن على أساس قواعد العلوم التجريبية، كعلم الأحياء والطبيعة وعلم الفلك وغير ذلك... ويخص هذا التفسير الآيات التي تشير إلى عظمة الخالق جل جلاله وبدائع صنعه، والأخرى في نظر بعض العلماء والمفسرين أن التفسير العلمي الذي يستند على الحس والتجريب أن يسمى تطبيقاً وليس تفسيراً كما ذكر لنا الطباطبائي في ميزانه^(١) وقسم أهل الاختصاص تعريفه إلى شقين أولهما "التفسير" ويعني لغة: "البيان وكشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ"^(٢) والمعنى الاصطلاحي للتفسير هو: "هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها

ومداليلها" (٣) كما عرفه أبو حيان بقوله: "هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمت ذلك." (٤) والمقصود من تعريفه أنه علم يبحث في قراءات القرآن ومدلولات ألفاظه، وأحكامها الإفرادية أي علم التصريف، والتركيبية أي علم النحو أو إعراب القرآن. أما ثاني الشقين وهو كلمة "العلمي" وتعني هذه الكلمة "إدراك الشيء بحقيقته والدراية به أو تلك الحقيقة المخزونة في العقل البشري كاليقين بتلك الحقيقة" (٥) أما التفسير العلمي بالمعنى الكلي فقد تعددت آراء العلماء المحدثين فيه تعريفه، من بينها ما قاله الدكتور أمين الخولي: "هو تفسير يذهب قائله إلى استخراج جملة العلوم القديمة والحديثة من القرآن، ويرى في القرآن ميدانا يتسع للعلم الفلسفي والإنساني في الطب، والتشريح والجراحة والفلك والنجوم والهيئة، وخلايا الجسم وأصول الصناعات، ومختلف المعادن، فيجع القرآن مستوفيا بآياته لهذه الحيشات، ويحكم الاصطلاحات العلمية في القرآن، ويجتهد في استخراج هذه العلوم." (٦) وما قاله الدكتور الخالدي: "هو تفسير الآيات تفسيراً علمياً وفق قواعد العلم الحديث وبيان المضامين العلمية للآيات وفق مقررات وتحليلات العلم الحديث." (٧) فالمتأمل لمثل هذه التعريفات يرى أنها تصب في تفسير مدلولات الآيات وربطها بمختلف العلوم الحديثة وقواعدها، عن طريق الاجتهاد والتحليل والاستنتاج.

٢.٢. تاريخ نشأته:

يزخر القرآن الكريم بالجوانب التي تستدعي البحث والتفسير، وهذا سبب نشأة التفسير العلمي لآياته، وللتفسير العلمي جذور متأصلة في تاريخ الحضارة الإسلامية، فهو ليس وليد الأمس القريب، وأولئك الذين يدعون حداثة من مفسرين محدثين إنما يتكثون على أصول تراثية سابقة، ويمكن القول أنه بدأ منذ العصر العباسي، حينما ازدهرت الحضارة وظهرت العلوم التجريبية، ظهرت معها محاولات للمواءمة بينها وبين ما جاء في القرآن، فأرادوا التوفيق بين ما جاء في هذه العلوم الجديدة وربطه بآيات القرآن، ومن الأوائل الذين تكلموا فيه الإمام أبو حامد الغزالي في القرن السادس عشر، وحاول أن يروجه بين الأواسط العلمية. (٨) وفخر الدين الرازي في القرن السابع عشر، والسيوطي في القرن العاشر الهجري، والإمام الشاطبي في القرن الثامن الهجري بدوره تحدث عن التفسير العلمي وكان من أبرز المنكرين له. أما حديثاً فحملة نابليون على مصر أسهمت في دخول

علوم كثيرة للبلاد العربية وازدهارها، هناك من العلماء من اجتهدوا في ربطها بالقرآن ومن أشهر الداعين له في العصر الحديث طنطاوي جوهرى عبر مؤلفه: "الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات" ونجد كذلك حنفي أحمد الذي كتب "التفسير العلمي للآيات الكونية" كما نجد محمد بن أحمد الاسكندراني الطيب الذي ألف "كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوي والأرضي والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية" وقد ازدادت الحاجة إلى التفسير العلمي للقرآن مع تطور العلوم، فظهرت مؤلفات جديدة ودراسات أكاديمية ورسائل وأطروحات تناولت هذا الموضوع، بالإضافة إلى الموسوعات والمواقع الإلكترونية، ونذكر على سبيل المثال: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة للدكتور راتب النابلسي وموسوعة تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم للدكتور زغلول النجار. ومن أطروحات الدكتوراه نجد مثلاً: الاتجاه العلمي في التفسير أدواره وأصوله، هرماس عبد الرزاق، من جامعة ابن زهر أكادير، كلية الأدب قسم الدراسات الإسلامية، الرباط، ١٤١٦هـ وغير ذلك الكثير...

٢.٣. آراء العلماء فيه:

انقسم العلماء بين مؤيد للتفسير العلمي وبين معارض، ومعتدل بينهما، والمؤيدون للتفسير العلمي جمع غفير، وأولهم الإمام الغزالي، الذي أسس لهذا العلم ونظر له، ووضع قواعده، يقول الإمام الغزالي: "قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم، وما بقي من فهمها، وأكثر وقال آخرون القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم، ومائتي علم، إذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل ظاهر وباطن وحد ومطلع."^(٩) ثم جاء بعد الإمام فخر الدين الرازي الذي طبق الأسس النظرية على الآيات القرآنية، ثم جاء بدر الدين الزركشي في البرهان في علوم القرآن، ثم السيوطي في الإتقان في علوم القرآن الذي نحى منحى سابقه في التفسير، ونظام الدين النيسابوري في كتابه غرائب القرآن ورجائب الفرقان، ومن المحدثين نجد طنطاوي جوهر في كتابه الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ومحمد توفيق صدقي في محاضراته في سنن الكائنات، وعبد الرحمان الكواكبي في طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ومصطفى صادق الرافعي في إعجاز القرآن والبلاغة النبوية... وغيرهم، قد أحصاهم الدكتور محمد عبد الرحمان الشايع فذكر خمسين مؤلفاً^(١٠).

ومن أدلة هؤلاء ومسببات قبول التفسير العلمي للقرآن نذكر: - الاستدلال بظاهر عموم الآيات قال تعالى: ﴿سُرِّهَذَا مَا تَنَافَى فِي الْإِنْفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمَنَّا لِحَقِّهُ إِنَّهُ لَوْ كَفَرَ بِرَبِّكَ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت ٥٣) فقولُه سنريهم يدل على الاستقبال ومنع هذا النوع من التفسير يؤدي إلى قصر الإعجاز القرآني على عصر النبوة فقط. وهذا يعني أن يستقبل القرآن القرون الأخرى دون إعجاز أو عطاء. وهذا ممنوع. - الاستدلال بعموم بعض الأحاديث والآثار. - أن الله سبحانه وتعالى: ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السماوات والأرض وتعاقب الليل والنهار وكيفية أحوال الضياء والظلام وأحوال الشمس والقمر والنجوم وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى. فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالهم جائزاً لما ملأ الله كتابه منها. - إن العلم الحديث ضروري لفهم بعض معاني القرآن الكريم، وليس هناك ما يمنع من أن يكون فهم بعض الآيات فهماً دقيقاً متوقفاً على تقدم بعض العلوم. - تحقق فوائد كثيرة ومنافع كبيرة من هذا النوع من التفسير مثل: إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن الكريم بإثبات التوافق والتطابق بين حقائق القرآن الكريم القطعية النهائية وحقائق العلم القطعية اليقينية واستمالة غير المسلمين إلى الإسلام وإقناعهم به. وغير ذلك^(١١).

أما المعارضون لهذا التوجه في التفسير كثيرون قدماء ومحدثين منهم: - أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) في البحر المحيط. - أبو إسحاق: إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) في الموافقات. - محمود شلتوت في: تفسير القرآن الكريم، ومجلة الرسالة. - أمين الخولي. في: التفسير نشأته، تدرجه، تطوره، وفي دائرة المعارف الإسلامية. - محمد حسين الذهبي. في: التفسير والمفسرون. - محمد عزة دروزة. في: التفسير الحديث. - شوقي ضيف. في: تفسير سورة الرحمن وسور قصار. - سيد قطب في: ظلال القرآن.

وحجتهم وأدلتهم في الرفض تتلخص فيما يلي: - إن للتفسير شروطاً وقيوداً وضوابط يسير عليها ومن شروط ذلك التمكن من العربية فمفسر ألفاظ القرآن الكريم بما تدل عليه لغة العرب، دون تزيّد في تحميل الألفاظ ما لا تحتمله - أن القرآن الكريم إنما هو كتاب هداية للبشرية وليس بكتاب تفصيل لنظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف من فلك وطب وهندسة وخلافها وأن تطلّب تفصيل ذلك في القرآن الكريم إنما هو سوء فهم لطبيعة

هذا القرآن ووظيفته - أن توسيع دلالة الألفاظ إلى أوسع مما يعرفه العرب قديماً يؤدي إلى عدم بلاغة القرآن لعدم مراعاة مقتضى الحال حينئذ - أن مهمة القرآن الكريم دينية اعتقادية وليست علمية - أن هذا المسلك عما قريب أو بعيد سوف يؤدي إلى الصراع بين الدين والعلم. - ما يؤدي إليه هذا المسلك من التأويل المتكلف الذي لا يسيغه الذوق السليم ويتنافى مع إعجاز القرآن. - أن في هذا المسلك تعريضاً للقرآن الكريم لكثرة التأويلات وتغيرها بتغير العلوم وتطورها نظراً لعدم استقرار المسائل العلمية. أن التفسير العلمي بدعة حمقاء ودفاع فاسد عن القرآن الكريم من كل وجه. - أن هذا النوع من التفسير يعارض اليسر الذي ينبغي أن تتصف به الشريعة الإسلامية.^(١٢) وهناك من العلماء من تبنوا الاعتدال في آرائهم، فلم يميلوا لا للإفراط ولا للتفريط. منهم محمد الطاهر بن عاشور، والإمام الشعراوي، والدكتور فضل حسن عباس وغيرهم، والوسطية بين المؤيدين والمعارضين والاعتدال في القول بالتفسير العلمي هو أكثر الأمور قبولاً وخيرها، حيث "أخذوا به بما يتناسب مع كل عصر بما فيه من علوم ومعارف ويتناسب مع كل جيل بما تطيقه قدراتهم وجهودهم، فليس الأمر عبثاً وليس الباب مفتوحاً لمن هب ودب، وقال كلاماً يريد به تفسير أعظم كتاب"^(١٣) كتاب الله تعالى ليس بكتاب طب أو هندسة أو فلك فمن يعتبره هكذا فقد أفرط وتجاوز الحد المعقول، ومن نفى توافق الحقائق العلمية مع الآيات القرآنية نفيًا تاماً فقد فرط.

٣. التفسير العلمي لآيات الله في الكون من خلال موسوعة الدكتور راتب النابلسي العلمية:

١.٣. وقفة مع حياة الدكتور راتب النابلسي ومنهجه في التفسير:

هو الداعية الإسلامي علامة دمشق محمد راتب النابلسي، المولود في سوريا بمدينة دمشق في ٢٦ ديسمبر ١٩٣٨م، من أسرة محافظة اشتهرت بالعلم والانضباط الاجتماعي، نشأ يتيماً حيث توفي والده وهو في سن الخامسة، تاركاً له مكتبة ثمينة فوالده كان من علماء دمشق الأجلاء. تعلم الدكتور راتب في مدارس دمشق الابتدائية والإعدادية، والثانوية، ثم التحق بمعهد إعداد المعلمين وتخرج منه سنة ١٩٥٦، ثم التحق بكلية الآداب بجامعة دمشق وتخرج من قسم اللغة العربية سنة ١٩٦٤م بدرجة الليسانس، ثم تابع دراسته العليا والتحق بجامعة ليون فرع لبنان، وحضر لدرجة الماجستير في الآداب، ثم حصل على درجة

الدكتوراه في التربية من جامعة دUBLIN بإيرلندا عام ١٩٩٩، عن أطروحته الموسومة بتربية الأولاد في الإسلام، ثم الدكتوراه الفخرية من الجامعة الأمريكية المتخصصة بالعلوم الإسلامية والعربية عام ٢٠١٥، عمل في حقل التعليم الثانوي الرسمي، ثم الجامعي، حيث عمل أستاذاً محاضراً في كلية التربية بجامعة دمشق، بدايةً من عام ١٩٦٩م وحتى عام ١٩٩٩م، وبعدها عمل أستاذاً لمادة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في كليات الشريعة وأصول الدين في جامعة الأزهر فرع الفتح الإسلامي في دمشق، وأستاذاً لمادة العقيدة الإسلامية بجامعة ام درمان فرع مجمع أبي النور في دمشق، وأستاذاً لأصول التربية في جامعة طرابلس الإسلامية، ويشرف على مجلة نهج الإسلام التي تصدرها وزارة الأوقاف في سوريا، شارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية في الكثير من البلدان العربية والأجنبية والشرقية، وألقى العديد من المحاضرات الدينية وكان له حضور واسع. هو عضو مؤسس لجمعية مكافحة التدخين والمواد الضارة في سوريا ورئيس لجمعية حقوق الطفل في سوريا أيضاً. أما مؤلفاته فتعددت وهي مراجع هامة لطلاب العلم، نذكر منها على سبيل المثال: - موسوعة تفسيره للقرآن الكريم "تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة" - موسوعة أسماء الله الحسنى - موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - كتاب نظرات في الإسلام - كتاب تأملات في الإسلام - كتاب متى نصر الله - كتاب الإسراء والمعراج، وغير ذلك الكثير، بالإضافة إلى العديد من المواقع الإلكترونية الدعوية التي أنشأها الدكتور راتب كموقع محمد ﷺ وموقع المكتبة النصية المجانية لموسوعة النابلسي وغير ذلك^(١٤).

أما عن منهجه العلمي المتبع أثناء جمعه وتدوينه للموسوعة العلمية فقد كان يذكر المواضيع أولاً ثم يتبعها بالآيات والأحاديث المتعلقة بها، ثم يشرح ويعقب ويحلل، فالفهرس في موسوعته جاء بأسماء المواضيع لا بأسماء السور. فبعد انتقاء الموضوع يقوم الدكتور بجمع النصوص الشرعية الواردة في ذلك الموضوع الإعجازي، ثم يقوم بتفسير بعض المقردات القرآنية مستعيناً بكتب بعض المفسرين كتفسير الطبري، ثم الاستشهاد على الموضوع بالأحاديث النبوية، دون أن يغفل العناية بقضايا اللغة والنحو، حيث يستند على المعاني المعجمية وكذا القضايا النحوية كالإعراب الذي يوضح ويبين المعاني. بالإضافة إلى الاستشهاد ببعض الآيات الشعرية التي تخدم موضوعه المبحوث فيه.

٢.٣. الكون من منظور الدكتور راتب النابلسي:

خلق الله تعالى الكون بما فيه من آيات وفق نظام دقيق كامل متكامل، وهذا الكمال في خلق الكون يدل على كمال الخالق، خالق عظيم قادر على كل شيء، وتتجلى لنا هذه العظمة وهذه القدرة من خلال التأمل في خلق هذا الكون والتفكير في آياته، يقول الدكتور راتب النابلسي أن أقصر طريق إلى الله تعالى وأوسع باب ندخل منه عليه هو التأمل والتفكير، يقول في موسوعته: "في صحيح ابن حبان عن عطاء عن عائشة رضي الله عنها، قالت أتاني رسول الله ﷺ في ليلتي، وقال: "يا عائشة، ذريني أتعبد لربي عز وجل" فقام إلى القربة فتوضأ منها، ثم قام يصلي فبكى، حتى بل لحيته، ثم سجد حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنبه، حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح، فقال: "يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال عليه الصلاة والسلام: "ويحك يا بلال! وما يمنعي أن أبكي، وقد أنزل الله علي في هذه الليلة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (آل عمران ١٩٠) ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها." (١٥) إنها دعوة صريحة إلى التدبر في خلق السماوات والأرض والاختلاف بينهما والاختلاف بين آيتي الليل والنهار، وتعاقبهما، والتناسق الكبير في خلق الكون بدقة تفاصيله، مثل هذه الآيات تفتح عيوننا وتنبه حواسنا، وتشد قلوبنا، إلى عظمة الكون وخالقه.

ضرب لنا الدكتور راتب النابلسي أمثلة عن آيات الله في الآفاق والتدبر فيها كعدد النجوم التي قال عنها: "ورد أن عدد النجوم في السماء بعدد ما في الأرض من مدر وحجر، أي بعدد ذرات التراب والحجارة." (١٦) فنجوم مجرتنا درب التبانة قدرها العلماء المحدثون بثلاثين مليارا من خلال المراصد العملاقة، كما تحدث عن أحجام هذه النجوم التي تصل ضخامتها إلى درجة أن أحدها واسمه "منكب الجوزاء يزيد حجمه على حجم الشمس بمائة مليون مرة، والشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة، وحجم الأرض يساوي مليون مليون كيلومتر مكعب. دون التفصيل في المسافة بينها التي يمكن أن تقدر بالسنين الضوئية بحسب رأي الدكتور راتب النابلسي حيث يقول: "إن أقرب نجم ملتهب إلى الأرض يبعد عنا أربع سنوات ضوئية، ولكي نعلم ماذا تعني أربع سنوات ضوئية نقول: لو اتجهنا إلى هذا النجم بمركبة تساوي سرعتها سرعة مركبة القمر لاستغرقت الرحلة أكثر من مئة ألف عام،

ولو ساوت سرعة هذه المركبة سرعة السيارة لاستغرقت الرحلة هذه خمسين مليون عام!! هذا ما تعنيه أربع سنوات ضوئية!!" (١٧).

جعلنا الدكتور راتب النابلسي تتأمل أكثر في هذا الخلق العجيب في النجوم وكبر حجمها وسعة المسافة بينها، ومع اقتران هذا التأمل بالمعلومات العلمية الدقيقة أصبح يحرك القلب، ويخجل العبد المخلوق الضعيف أمام الخالق. وعقل المرء عاجز ونظره قاصر أمام كل هذه العظمة "وعلى كل فالعجز عن الإدراك إدراك، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر ٦٧) (١٨) خلق الله تعالى كل شيء وقدره تقديراً، كل في مكانه المناسب وكل في ميعاده المناسب، فالصانع هو الله الذي أتقن كل شيء.

٣.٣. تفسيره العلمي للآية الكريمة ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾.

إن الدرجة العلمية التي حبا الله بها الإنسان يجب أن تجعله أكثر إيماناً بالله وطاعة له، لأنه سوف يربط الحقائق العلمية التي توصل إليها بموجدتها وخالقها، المعبود الوحيد الذي يستحق العبادة، فهناك تطابق تام بين آيات الله في القرآن وبين آيات الله في الكون وتفسيرها العلمي، فالعلم كفرع جاء ليوافق الدين كأصل، ومن بين الآيات الكونية التي تدعونا إلى التفكير قوله تعالى في سورة الطارق: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (الطارق ١١-١٢) وفسر الدكتور راتب النابلسي الرجوع في عدة ظواهر كونية، واتجه في ذلك أربع اتجاهات قالها العلماء، أولها: أن القمر يدور حول الأرض يذهب ثم يرجع إلى موضعه الأول في دورة كاملة، وكذلك الشمس تجري لمستقر لها في مدار حول نجم آخر، وتعود إلى مكانها السابق، والمذنبات كذلك، وضرب لنا الدكتور راتب مذب هالي كمثال، فكل ما ذكر سابقاً يدور ويرجع إلى موضعه، وكل ما في السماء يدور في فلك بيضوي أو إهليلجي ويرجع، لهذا وصف الله تعالى السماء بذات الرجوع. أما الاتجاه الثاني غازات الأرض ذات رجوع أيضاً، يقول الدكتور راتب: "هذه الغازات التي أودعها الله في الأجواء ذات رجوع، فهذا الأكسجين الذي يستنشقه الإنسان ينفثه غاز فحم، ثم يأخذه النبات فينفثه أكسجيناً، إذا حتى الغازات لها دورة طبيعية من أكسجين إلى غاز الفحم إلى أكسجين." (١٩) فأى غاز من هذه الغازات يستنشق ثم يطرح ثم يستنشق بشكله المطروح ويطرح مجدداً فيرجع إلى

حالته الأولى فالدورة إذا رجعية، أما الاتجاه الثالث فقال أن السماء إذا أرسلنا لها موجات كهترطيسية فإنها ترجع وكذا في الاتجاه الرابع عن بخار الماء إذا صعد فإنه يرجع إلينا على شكل مطر وهكذا. يقول الدكتور راتب النابلسي: "إن السماء ترجع بخار الماء أمطاراً، وترجع الأمواج الكهترطيسية بثاً، وترجع الغازات في تقلباتها إلى ما كانت عليه، وكل ما في السماء يرجع إلى مكانه الأول، لأنه يدور ويسير ويتحرك في مسار دائري، أو بيضوي، فحينما يقول ربنا عز وجل بإيجاز عجيب وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ معنى ذلك أن هذا الكلام قرآن من عند خالق الأكوان، وتشعر أن هذا وصف الله تعالى وصف الخالق." (٢٠).

وقوله تعالى بعد تلك الآية ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ أن القارات كانت متصلة على شكل يابسة واحدة ثم انشقت وانفصلت عن بعضها وتصدعت، "فالصخور تتصدع والأحجار تتصدع، بل إن أدق الجزئيات تتصدع، فإذا ذهبت لتصف الأرض بصفة ثابتة منذ أن خلقها الله، وحتى نهاية الحياة، قلت إنها تتصدع." (٢١).

٤.٣. تفسيره العلمي للآية الكريمة ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾

جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية الكريمة أن طبقات السماء سبع طبقات، طبقة بعد طبقة، وهناك اختلاف في الأقوال فيما إذا كانت هذه الطبقات منفصلة عن بعضها البعض أو متصلة، والأصح بحسب ابن كثير القول الأول أي أنها منفصلة بينها خلاء كما دل على ذلك حديث الإسراء وغيره. (٢٢) فهذه القبة السماوية التي نراها هي كل ما يقع فوق سطح الأرض، وهي طبقات، لكل طبقة صفاتها وخصائصها ومكوناتها ودورها ووظيفتها، هناك من العلماء من عدّها خمسة وهناك من أوصلها للسته وللتسعة كذلك، وهذا الجزء المنظور الذي يمثل شيئاً يسيراً مقارنة بالجزء غير المنظور الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وعن طبقات هذا البناء المحكم المتين الذي رفع بغير عمد ذكر الدكتور راتب النابلسي خمس طبقات وفصل فيها، أما الأولى فقال عنها طبقة الهواء السفلى، التي تعيش فيها الأحياء وهي بدورها مكونة من طبقات أيضاً، تتغير وتتقلب بحسب المكان وبحسب الطقس، من الحر إلى البرد إلى الغيوم إلى الأمطار... وهذا الانتقال هو أساس توقعات حالة الطقس، وهذه الطبقة لا يزيد ارتفاعها على ستة عشر كيلو متراً.

ثم تحدث عن الطبقة الثانية وعن مكوناتها، وأن فيها جزئيات غازية كبريتية، هي السبب في تلقيح السحاب وتسهيل عملية الأمطار، ولولاها لما دبّت الحياة على الأرض، ويقول أن هذه الطبقة الثانية تحوي طبقة الأوزون، التي تمنع مرور الأشعة القاتلة، إلا بما يسمح قتل الجراثيم الضارة في الكائنات الحية. وقد أصاب هذه الطبقة بعض الخلل بسبب التلوث والغازات الصناعية وكثرة الأقمار الصناعية والرحلات الفضائية. أما الثالثة فوصفها بالفرن الملتهب الذي يصهر كل شيء يقترب من الأرض، كالنيازك والأحجار الكونية والكويكبات المتساقطة، هذه الطبقة تجعل الأجسام العملاقة تحترق وتتشبه لتصبح رمادا غير مرئي. كما تحدث الدكتور راتب النابلسي عن الطبقة الرابعة، واسمها "الأيونوسفير" أو كما سماها هو الطبقة المتأينة، وقدر العلماء ارتفاعها بثمانين كيلومتراً، فهذه الطبقة حسب ذكره "تتعرض لإشعاعات الشمس ولا سيما فوق البنفسجية التي تعمل على تحطيم ذرات غاز الأكسجين والنتروجين بها فتفقدتها إحدى إلكتروناتها، فتصبح مشحونة كهربياً... وتعكس الموجات اللاسلكية عن الأرض وترسلها حولها." (٢٣) أما الطبقة الخامسة التي أخبر عنها فتمتد من ألف كيلومتر إلى خمسة وستين ألف كيلومتر، وفيها ينقص الهواء بالتدريج، إلى أن ينعدم، وبالتالي سُمك طبقة الهواء التي تحيط بالأرض يزيد على خمسة وستين ألف كيلومتر نحو الأعلى فسبحان الله رافع السماوات.

يتحدث الدكتور راتب النابلسي عن عجائب قدرة الله تعالى في خلق هذه السماوات، والفصل بينهن، وجعل هذه الطبقات الجوية السماوية غلافاً يحمي الأرض وما عليها، إما عن طريق المنع كالأوزون الذي يمنع الأشعة القاتلة من التسرب إلينا أو الحرق كالطبقة الثالثة التي تصهر كل ما هو ضار بنا، وكل هذا مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَافًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٢).

٥.٣. ظلام الفضاء الخارجي:

جاء في التنزيل العزيز قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ (الحجر: ١٤-١٥) ربط الدكتور راتب النابلسي معنى الآية الكريمة بنظرية إلغاء التناثر الضوئي وانعدامه، حيث ذكر لنا ما وقع لرائد الفضاء حين غادرت مركبته الغلاف الجوي، ودخلت منطقة لا هواء فيها، حينها أصبح الجو مظلماً

فجأة، وارتعب الرائد وظن أنه أصيب بالعمى الكلي، فالظلام في ذلك الفضاء حالك، لا يرى فيه شيء، وفسر الدكتور ذلك في قوله "إن أشعة الشمس إذا وصلت إلى الغلاف الجوي تنثر ضوءها وتشتت بين ذرات الهواء وذرات الغبار، وهذا ما يعبر عنه علماء الفيزياء بانتثار الضوء، أو بتشتت الضوء، تنعكس أشعة الشمس على ذرات الهواء وذرات الغبار فتجعلها متألقة، وهذا الذي يسمى في الدنيا منطقة فيها أشعة الشمس، ومنطقة فيها ضوء ولا شمس فيها، فلما غادرت المركبة الغلاف الجوي انعدم تناثر الضوء وأصبح الفضاء مظلماً شديداً الظلام." (٢٤) هذا الإعجاز والإبداع في الخلق ذكره الله تعالى في تنزيهه منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، قبل التطور العلمي قبل أن يضع الإنسان قدمه على القمر، قبل أن يقتحم العوالم الفضائية، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن خالق القرآن هو خالق الأكوان.

٦.٣. قانون الجاذبية في الكون:

إذا تأملنا في آيات الله القرآنية نجد عدة إشارات إلى قانون الجاذبية الذي أدركه العلماء بعد قرون عدة، هذا القانون الذي يحكم جميع الأشياء، يحكم الأرض إذ يجعلها تدور معلقة في الفضاء الكوني دون سقوط، ويحكم أي كتلة موجودة في هذا الكون، يقول الدكتور راتب النابلسي إن الكتل الموجودة في الكون تتجاذب، والتجاذب يكون بحسب حجم الكتل، وبحسب المسافة بينها، ثم يطرح سؤالاً توضيحياً هو: مادامت كل كتلة تجذب أختها فلا بد أن يصبح الكون كله عبارة عن كتلة واحدة ملتصقة، لكنه غير ذلك فما الذي يحول بين تكتل الكون وتبعثره؟ ثم يجيب بأن قانون الرجوع الذي تكلمنا عليه سابقاً ينشأ عنه قوى نابذة تكافئ القوى الجاذبة، وهذا ينشأ عنه ما يعرف بالتوازن الحركي، ثم تحدث عن عمد السماء غير المرئي وأصله قوى الجذب بين المجرات والكواكب والكتل. ثم يأتي الدكتور راتب بإشارة قرآنية عن الجاذبية في الأرض وهي قوله تعالى ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ (النمل ٢١) وقال في تفسيرها أن سبب استقرار الأشياء على الأرض هو القوى الجاذبية التي تحكمها، فكل ما على الأرض منجذب لها من شجر وحجر وبحار وغير ذلك، وإذا خرج الشيء عن منطقة الجذب فقد وزنه وانعدم، لذلك نرى الرواد يسبحون في الفضاء بسبب انعدام الجاذبية، فالجاذبية إذا هي التي تجعل من الأرض قراراً.

كما تحدث عن إشارة قرآنية أخرى وهي قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا

وَتَخَلَّتْ ﴿ (الانشقاق ٣-٤) والمقصود من الآية بحسب الدكتور راتب هو انعدام قوى الجذب في الأرض، فإذا انعدمت الجاذبية وتعطلت تعطل كل ما في الأرض وتشتت وتبعثر، ثم تحدث عن إشارة ثالثة وهي قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾ (فاطر ٤١) فكل شيء في الكون مخلوق بقدر، وكل كوكب مخلوق بمسار يدور فيه دون أن يجيد عنه ولو بمليمتر واحد، هذه القدرة العجيبة في إبقاء الكواكب على مسارها، وإبقاء الشمس في كبد السماء وإبقاء الأرض بجاذبيتها ومسارها حول الشمس هي قدرة خالقها ومبدعها. فلا تستطيع أي قوة أن ترجع الشمس إذا انخرفت عن مسارها أو الأرض إذا خرجت عن خطها^(٢٥).

٧.٣. المجرات والنجوم في موسوعة النابلسي:

اختار الله تعالى كوكب الأرض من بين الكواكب الأخرى للحياة، وكوكب الأرض هو أحد كواكب المجموعة الشمسية، والمجموعة الشمسية بدورها هي جزء من شيء أكبر اسمه المجرة، ومجموعتنا الشمسية موجودة في مجرة "درب التبانة" والمجرة كما هو معروف تجمعات كبيرة من غبار ونجوم الكواكب ومجموعات الشمسية تربط بينها قوى الجاذبية، تكوين هذه المجرات عظيم يفوق تصديق العقل البشري، ذكر الدكتور راتب النابلسي أن المجرات هي كتل هائلة سماها بالجزر الكونية، وهي أساس الكون "المجرات غبار كوني وسُدْم ونجوم وكواكب، ومذنبات ونيازك وشهب، ومجالات مغناطيسية كهربية عنيفة، كل هذا في المجرة الواحدة، والشيء الغريب أن أكبر مرصد على وجه الأرض رصد ألف مليون مجرة."^(٢٦) وهذا عدد تقريبي إذ يرجح العلماء أن عدد المجرات أكبر بكثير وقد تصل إلى مليون مليون مجرة، وما نراه بالعين المجردة ثلاثة فقط.

مثل لنا الدكتور راتب النابلسي بمجرة درب التبانة، وقال أن طولها يزيد عن مائة وخمسين ألف سنة ضوئية، ونحن نبعد عن القمر ثمانية ضوئية واحدة، وعن الشمس ثمان دقائق، وطول مجموعتنا الشمسية لا يزيد عن ثلاثة عشر ساعة ضوئية، هذا عن بعد المجرة الواحدة فما بالك أبعد المجرات التي اكتشفت "كان يُظن أن أبعد مجرة اكتشفت بعدها عنا عشرون ألف مليون سنة ضوئية، ومما يعلم أن أقرب نجم ملتهب يبعد عن الأرض أربع سنوات ضوئية، ولو أردت أن تعرف ماذا تعني أربع سنوات ضوئية، فإني أمثل لك بأنك

لو أردت أن تصل إلى هذا النجم في مركبة أرضية لاحتجت إلى قريب من خمسين مليون عام." (٢٧) ثم عاد الدكتور إلى مجموعتنا الشمسية وقال أنها تدور حول نقطة وتستغرق الدورة الواحدة مائتين وخمسين مليون سنة بسرعة تزيد عن سبعة أعشار سرعة الضوء. وهذا شيء يفوق استيعاب عقلنا المحدود.

ومن بين مظاهر قدرته وعظمته وقوته عز وجل ذكر الدكتور النابلسي أنه تعالى خلق الأرض تدور حول نفسها بسرعة ألف وستمئة كيلومتر في الساعة وترجع، وتدور حول الشمس بسرعة ثلاثين كيلومتر في الثانية وترجع، والشمس تجري لمستقر لها وتدور حول نجم في المجرة بسرعة مائتي كيلومتر في الثانية وترجع، والمجرة تدور حول نقطة وهمية بسرعة مائتين وأربعمائة ألف كيلومتر في الثانية وترجع، فكلها ذات رجع (والسماوات ذات الرجوع)، من صنع عزيز قوي قدير.

أما عن عدد النجوم في المجرة الواحدة يقول الدكتور راتب أنه قد يصل إلى ما لا يمكن تخيله "كان علماء الفلك فيما مضى يعدون النجوم بالألوف، وبعد حقبة من الزمن أصبحوا يعدونها بالملايين، وقبل سنوات عدة أصبح العلماء يعدونها بالمليارات، وفي تقدير مبدئي لعدد نجوم مجرتنا وهي مجرة متوسطة عد العلماء فيها ثلاثون مليون نجم... وفي مجرة أخرى بدأ العلماء يصلون في عددهم إلى رقم خيالي هو مليون مليون نجم، فالتقدير الحديث أنه تم اكتشاف مليون مليون مجرة، وفي كل مجرة رقم تقديري قد يصل إلى مليون مليون نجم." فسبحان الله خالق هذا العدد الهائل منها، لهذا أقسم الله تعالى بها وبمواقعها، يقول تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّ لِنَفْسِكَ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمًا﴾ (الواقعة ٧٥-٧٦) لعظمتها فالنجوم من أعظم صور المعجزات في الكون ومواقعها والمسافات الهائلة التي بينها، وسرعة جريها ودورانها وقوى الجاذبية التي تربط بينها، إنه قسم عظيم. وفسر الدكتور مواقع النجوم بثلاثة معاني: "المعنى الأول: أن بين النجوم مسافات يستحيل على العقل تصورها، فبين الأرض وبعض المجرات على سبيل المثال عشرون ألف مليون سنة ضوئية، فإذا علمنا أن الضوء يسير في الثانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلومتر، فكم يسير في الدقيقة؟ هذا العدد الكبير ثلاثمائة ألف مضروب في ستين، فكم يسير في الساعة إذا وكم يسير في اليوم؟ وكم يسير في السنة؟" (٢٨) ويظهر لنا في هذا المعنى عظم حجم المسافات وقد توصل إلى طول مجرة درب التبانة على

سبيل المثال الذي يبلغ مائة وخمسون ألف سنة ضوئية بسرعة الضوء الذي يقطع ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية. فمساحة هذه المجرة وطولها والبعد بين أجرامها شيء لا يمكن تصوره أو تخيله.

ثم تحدث عن المعنى الثاني لمواقع النجوم وقال: "النجوم ليس لها موقع واحد، بل لها مواقع، إذا فهي نجوم متحركة، وكل شيء يسبح في فلك خاص به... كل نجم له مواقعه الخاصة، وله مدار طويل أو قصير، وشكل مداره دائري أو إهليلجي... وفي كل ثانية يكون للنجم موقع جديد." (٢٩) هذا هو المعنى الثاني المستنبط من مواقع النجوم وهي أنها متغيرة متحركة، ولو بجزء يسير لكن الحركة تكون بانتظام دقيق. والمعنى الثالث أن بين هذه النجوم نظام تجاذب، لكن التجاذب أيضا يكون بقدر، ويسميه الدكتور مربع المسافة بين النجوم، ولو اختل هذا النظام لاصطدمت النجوم ببعضها، فالمستخلص من هذا الحديث أن النجوم تفصل بينها مسافات شاسعة هائلة لا يمكن تخيلها، كما أنها تتقل من موقع إلى آخر في نظام حركي دقيق، وهذه النجوم المختلفة الأحجام والمتفاوتة الأبعاد يحكمها نظام تجاذب مدروس. هذه أدلة علمية قاطعة على قدرة الله الخالق الواحد الأحد. فهل يعقل أن يعصى مثل هذا الخالق.

٨.٣. تفسيره العلمي للآية الكريمة ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾:

كلما تبحر الإنسان في العلوم الفلكية والكونية كلما وجد التطابق التام بين الحقيقة العلمية والمعنى القطعي لآيات الله القرآنية حول الكون وعظمة خلقه، ومن بين الآيات القرآنية التي فسرها الدكتور راتب النابلسي تفسيراً علمياً قوله تعالى ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (الرحمان ٣٧) هذا التشبيه البديع اكتشفه العلماء بعد أربعة عشر قرناً أنه حقيقة مسلمة، ففي عام ١٩٩٠م عرضت وكالة ناسا صورة من الفضاء الخارجي من خلال مرصد عملاق، تترأى للعين أنها وردة جورية حمراء قانية محاطة بوريقات خضراء وكأس أزرق اللون في الوسط. لكنها في حقيقة الأمر صورة لانفجار لنجم عملاق اسمه عين القط.

هذا النجم يبعد عن الأرض بمقدار ثلاثة آلاف سنة ضوئية، يرى الدكتور راتب أن كتب تفسير القرآن الكريم لم تتوصل لهذا المعنى باعتبار الفارق الزمني بينها وبين هذه

الاكتشافات العلمية الحديثة في الفضاء، ولو رأى أصحابها صورة النجم المنفجر وهو على شكل وردة حمراء لقالوا يقيناً أن ذلك هو التفسير الحقيقي للآية الكريمة. يقول الدكتور: "القرآن معجزة مستمرة، وقد أحجم النبي ﷺ - ولعل هذا اجتهاداً منه أو لعله بتوجيه من الله عز وجل - عن شرح أكثر الآيات الكونية في القرآن الكريم، ذلك أنه لو شرحها شرحاً مقتضياً موجزاً لأنكر عليه من سيأتي بعده، ولو شرحها شرحاً مفصلاً لأنكر عليه من حوله، فتركت لتطور الحياة وتطور العلم." (٣٠) وها نحن بعد أربعة عشر قرناً من نزول الآية نقف على المعنى الحقيقي لها. لأن كلام الله معجزة مستمرة إلى الأبد.

٩.٣. النجم الثاقب:

المعروف في تفسير قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ (الطارق ١-٢-٣) أن نجماً شديد الضياء يسبح في الفلك، ويخترق طبقات الجو، لكنه باختراقه هذا يختلف عن الشهاب الساقط، فالنجم الثاقب والنجم إذا هوى والنجم الطارق ليست الشهب التي نراها بالعين المجردة. وقد قام الدكتور راتب النابلسي بتقريب مفهوم النجم الثاقب إلى أذهاننا بقوله: "حينما تكبر النجوم تنكمش، وتزول الفراغات البينية بين ذراتها، إلى أن تصبح بحجم صغير ووزن ثقيل، هذه النجوم النيترونية المنكمشة يعدل وزنها خمسين ألف بليون من الأطنان، فإذا وضعت هذه الكرة على الأرض ثقبتها، ووصلت إلى طرفها الآخر، هذا هو النجم الثاقب النيتروني الذي ضغط حتى أصبح بحجم كرة وله وزن يعدل وزن الأرض." (٣١).

بمعنى أن النجم إذا شاخ صغر حجمه دون أن يفقد وزنه، ومثل الدكتور بالأرض إذا شاخ مثلاً تصبح بحجم بيضة إلا أنها تحافظ على وزنها الأول، أي أنها تصبح بيضة بوزن كوكب، ثم إن هذه النجوم ترسل ومضات سماها الدكتور راتب (نبضات نووية) حيث تزداد نبضات النجم في شبابه، وتقل في شيخوخته، يقول: "ونعرف من خلال تواتر النبضات التي تأتي عن طريق التلسكوبات اللاسلكية عمر هذا النجم، فنجم يطرق ونجم يثقب، وهذا شيء من أحدث البحوث الفلكية." (٣٢) فالطارق شاب والثاقب شيخ ولا ندرك الفارق بينهما إلا عن طريق تلك الومضات.

١٠.٣. مدارات الكواكب ومذنب هالي في موسوعة النابلسي:

بدأ الدكتور راتب حديثه حول هذا الموضوع بالآية الكريمة ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَكَاللَّيْلِ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس ٤٠) وقد فسرها العلماء أن الشمس لا يصح أن تدرك القمر فيذهب ضوءها بضوئه وبالتالي تصبح كل أوقات اليوم نهارا والعكس، لا يصح للقمر أن يسبق النهار حتى تذهب ظلمته بضوء النهار، فتصبح كل الأوقات ليلا. يقول الدكتور راتب النابلسي: "هذه الآية على ظاهرها تدل على أن للشمس مداراً، وللقمر مداراً، ومدار الشمس لا يتصل بمدار القمر، ولن تصطدم الشمس بالقمر." (٣٣) وما يمنع الاصطدام هو أن كلهم في فلك يسبحون. للشمس فلك تسبح فيه وللقمر مثله، وكل شيء في الفضاء له مدار يدور فيه، وضرب لنا الدكتور مثالا بمذنب هالي حين قال: "فهذا المذنب الذي يرقبه الناس كل يوم، مذنب هالي، منذ أن خلق الله السماوات والأرض يدور في مدار لا يجيد عنه، قيد أنملة، يصل إلى نقطة تقترب من الأرض، ثلاثمائة مليون كيلومتر، له ذيل يزيد طوله على ثلاثة وتسعين مليون كيلومتر، ويخاف الناس أن يبقى في سيره مستقيماً فيرطم بالأرض أما الآية الكريمة تقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُنْسِكِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ (فاطر ٤١)

مذنب هالي بحسب قوله له مدار خاص به وفلك خاص يدور فيه، هذا المذنب زار الأرض في عام ١٩١٠ كما قال الدكتور راتب وعاد إلينا عام ١٩٨٦م، وتستغرق دورته الكاملة ستة وسبعين عاما، ومعنى ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس ٤٠) في تفسير ابن كثير "يدورون كما يدور المغزل في الفلكة" (٣٤) كل الأشياء ساجدة في فلكها، صغيرة كانت أم كبيرة، فالأرض تدور حول نفسها ودورتها ثابتة وتدور حول الشمس ودورتها ثابتة والمذنب يدور ودورته ثابتة، حتى أصغر الخلائق تسبح وتدور وفق نظام معين "الذرة" ففي الذرة نترونات تدور حول نفسها، وكل جسم حولنا مؤلف من ذرات، والذرة مؤلفة من نواة ومن كهارب لها مدارات تدور حول تلك النواة، ولها سرعة ثابتة ودورة ثابتة في فلك خاص. فسبحان الله العزيز الجبار.

١١.٣. سرعة الضوء:

يعتبر أينشتاين من أول العلماء الذين تحدثوا عن سرعة الضوء، حيث قال أن أسرع

مخلوق خلقه الله تعالى في كونه هو الضوء، وإذا عدنا للآية الكريمة ﴿يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ نُجُومِهِمْ يُرِيهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة ٥) نجد سرعة الضوء المذكورة بين سطور هذه الآية، وقد فسرها الدكتور راتب تفسيراً علمياً رياضياً مبسطاً، وبدأ بدورة القمر الشهرية حول الأرض حيث يقطع القمر مسافة معينة كل شهر ولو ضربنا تلك المسافة في اثني عشر شهراً لوجدنا المسافة التي يقطعها القمر في السنة، ولو ضربنا الناتج في ألف سنة لوجدنا المسافة التي يقطعها القمر في ألف سنة، هذا بالنسبة للمسافة أما بالنسبة للزمن فنحن نعلم أن اليوم الواحد مكون من أربعة وعشرين ساعة، والساعة مكونة من ستين دقيقة والدقيقة الواحدة من ستين ثانية، إذا أردنا معرفة عدد الدقائق الموجودة في اليوم الواحد نقوم بضرب عدد الساعات في الدقائق أي 60×24 والناتج نضربه أيضاً في ٦٠ إذا أردنا معرفة عدد الثواني الموجودة في اليوم الواحد. إذا قسمنا المسافة التي يقطعها القمر في ألف عام على عدد ثواني اليوم، لوجدنا أن الناتج هو نفسه سرعة الضوء بالثانية الواحدة. وهي مائتان وتسعة وتسعون ألف وسبعمائة واثنان وتسعون كيلومتر ونصف كيلومتر في الثانية. هذا العدد ذكر في المؤتمر الدولي المنعقد في باريس. فهو النتيجة المعلنة دولياً عن سرعة الضوء.

يقول الدكتور راتب النابلسي "إن سرعة الضوء هي أهم قانون عرفته البشرية في القرن العشرين، وهذه السرعة هي أعلى سرعة في الكون، فالشيء إذا سار بسرعة الضوء أصبح ضوءاً، وأصبحت كتلته صفراً، وحجمه لا نهاية له، وعندئذ يتوقف الزمن، فإذا سبق سرعة الضوء تراجع الزمن، وإذا قصر هن الضوء تراخى الزمن." (٣٥) وخلاصة القول أن ما يقطعه القمر من مسافة في ألف سنة قمرية تساوي ما يقطعه الضوء من مسافة في اليوم الواحد.

١٢.٣. القمر والشمس:

القمر هو المكان الوحيد الذي وطئته أقدام البشر في الفضاء الخارجي، يدور حول الأرض دورة شهرية، في كل شهر قمرية مرة، كما يدور حول نفسه في وقت مساوٍ لدورته حول الأرض، يدور حول الأرض على مسافة تقدر بثلاثمائة وثلاثة وثمانين ألفاً وأربعمائة كيلومتر. ويكمل دورته حول الأرض وحول نفسه في تسعة وعشرين يوماً وثمان ساعات، جعل الله تعالى الخالق المبدع القمر يتأخر في شروقه كل يوم عن سابقه بتسعة وأربعين دقيقة، هذا التأخر هو يخلق مراتب القمر، فنراه هلالاً، ثم رباعاً، ثم بديراً ثم عرجوناً

وهكذا، هذا التأخر هو الذي يمكن الناس من حساب الأيام والسنين، ويجعل منه تقويماً.

يرى الدكتور راتب أن للقمر جاذبية تعادل سدس جاذبية الأرض، وأن بعده عن الأرض هو بعد دقيق بحسبان لقوله تعالى ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانٍ﴾ (الرحمان ٥) وهذا الحساب الدقيق يؤثر في عملية المد الجزر، "لو قلت المسافة لارتفع البحر ولغطى اليابسة، ثم انخسر عنها، وكانت الحياة على اليابسة مستحيلة، ولو اقترب أكثر من ذلك لجذبت الأرض وارتطم بها، ولو ابتعد عن الأرض أكثر لانعدم المد والجزر وللمد والجزر وظيفة خطيرة، ولو ابتعد أكثر وأكثر لجذبت كواكب أخرى، ولدارت الأرض حول نفسها في أربع ساعات، فيصبح النهار ساعتين والليل ساعتين." (٣٦) وبعد هذه الآية المعجزة تحدث الدكتور راتب عن تربة القمر المضيئة، قال عنها إنها عاكسة للضوء، لهذا يعتبر ضوء القمر جزءاً من ثمانية عشر جزءاً من ضوء الشمس، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّ وَالْحِسَابِ﴾ (يونس ٥) وآيات القمر القرآنية كثيرة توافقها الآيات التكوينية للقمر، هذه الآيات دليل قاطع لعظمة الله ووحدانيته، احتار فيها الغرب وبحثوا عنها وبدلوا في سبيل اكتشاف حقائقها النفس والنفس، وقد ذكرها لنا القرآن من أربعة عشر قرناً، فسبحان الله خالق القرآن وخالق الأكوان. أما الشمس فأياتها كثرة وعجبية، وقد أفرد لها الدكتور راتب النابلسي مبحثاً خاصاً في موسوعته، ومما قاله عنها: "الشمس هذه التي نعرفها حرارتها في سطحها ستة آلاف درجة، وفي مركزها عشرون مليون درجة، ولها قوة إضاءة تقدر بوحدات إضاءة، لكن الذي يحير العقول أن هناك شمساً تزيد في إضاءتها على الشمس ستاً وعشرين مرة وهناك نجوماً تزيد إضاءتها على إضاءة الشمس مائة مرة، وهناك ما تزيد بمئتي ألف مرة، فما شمسنا إلا شمس متواضعة ومتوسطة بين شمس كثيرة." (٣٧) فسبحان الله العظيم.

٤. خاتمة:

لعبت البيئة الإسلامية التي نشأ فيها الدكتور راتب النابلسي دوراً كبيراً في رسم حياته المستقبلية وفي نبوغه، وفيما جادت به قريحته خاصة في مجال الإعجاز والتفسير العلمي للقرآن الكريم، إذ أمدنا بموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة مخاطباً بها عقل الإنسان وقلبه، لعله يؤثر فيه فيدرك به عظمة الله تعالى من خلال آياته في الآفاق والإنسان، ويشعر المتلقي بمدى صغره أمام هذه العظمة وينتهي عن عصيان خالقه وتجبره وتكبره، فيحمله

بذلك على تغيير تصوراته وقناعاته وبالتالي سلوكه،

حرص الدكتور راتب النابلسي على الجمع بين الحقائق الدينية والحقائق العلمية، إذ ربط بين آيات الله القرآنية وآيات الله الكونية والتكوينية، لكي يرسخ في ذهن المتلقي حقيقة أن خالق الأكوان هو الذي أنزل القرآن كما يقول هو دائماً، فالعلاقة بين المكتشفات العلمية الحديثة وآيات الله عز وجل العظيمة تزيد المطلع عليها إيماناً فوق إيمانه، وثقةً بالله، لتصبح هذه الموسوعة ومثلها من موسوعات الإعجاز سراجاً وهاجاً ينير لنا درب الإيمان. استند الدكتور راتب على الحقائق العلمية التي ذكرها من أجل التعريف بقدرته الله تعالى، وما تلك الأرقام الدقيقة التي ذكرت في هذا البحث إلا وسيلة إقناعية لذلك، أما الغاية فهي إدراك وفهم تلك العظمة والقدرة.

إن المتأمل في خلق الله تعالى يجد أن الكون هو من أعظم المخلوقات التي يمكن أن يدركها ويعرفها عقل الإنسان المحدود. وهذا الكون بمجراته وكواكبه ونجومه والمسافات الهائلة بينها وجاذبيته وظلامه الدامس وسرعة ضوئه، ودقة صنعه ما هو إلا معجزة كبيرة، يغفل الإنسان عنها وهي أمامه وفيه، فسبحان الله جل جلاله الذي أكرمنا بهذا القرآن وسخر لنا علماء لتفسيره نفسيراً دقيقاً ليفتحوا بصر وبصيرة العباد.

هوامش البحث

- (١) ينظر: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، تصحيح: حسين الأعلمي، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٧، ص ١٠، ٩.
- (٢) ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دط، دار المعارف، القاهرة، دت، مجلد ٥، ج ٣٨، باب الفاء، ص ٣٤١٣.
- (٣) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ص ٧.
- (٤) أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد، دط، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص ٢٦.
- (٥) محمد الرواس قلعه جي، معجم لغة الفقهاء، ط٢، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٣٩.
- (٦) أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ط١، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦١، ص ٢٨٧.

(١٣٦) جهود الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي في التفسير العلمي للقرآن الكريم

(٧) صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط٣، دار القلم، دمشق، ١٤٢٩ هـ، ص٥٦٦.

(٨) ينظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج٢، ص٤٧٤.

(٩) الغزالي، إحياء علوم الدين، دط، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣ هـ، ج١، ص٢٨٩.

(١٠) محمد عبد الرحمان الشايع، مقال: التفسير بمكتشفات العلم التجريبي بين المؤيدين والمعارضين، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد٤، من ص٢٠ إلى ٥٤. رابط المقال: <https://www.alukah.net/sharia/0/385/> تاريخ الإضافة: ٢٠٠٧/٢/٧، تاريخ الزيارة: ٢٧/٤/٢٠٢١

(١١). <https://www.alukah.net/sharia/0/385/> المصدر نفسه رابط المقال:

(١٢) ينظر: محمد عبد الرحمان الشايع، مقال: التفسير بمكتشفات العلم التجريبي بين المؤيدين والمعارضين، رابط المقال: <https://www.alukah.net/sharia/0/385/>

(١٣) نضال يوسف أبو ميالة، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين الدكتور محمد راتب النابلسي والدكتور زغلول النجار. دراسة مقارنة، رسالة ماجستير في أصول الدين، بكلية الدراسات العليا، جامعة الخليل، ٢٠١٩، ص٣٣.

(١٤) ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، محمد راتب النابلسي، تاريخ تعديل الصفحة ٢٦ أبريل ٢٠٢١، تاريخ الزيارة ٢٧ أبريل ٢٠٢١م، الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%B1%D8%A7%D%AA%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7%D8%A8%D9%84%D8%B3%D9%8A

(١٥) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الآفاق، ط٢، دار المكتبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ٢٠٠٥. ص٣٩.

(١٦) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الآفاق، ص٤٠.

(١٧) المصدر نفسه، ص٤١.

(١٨) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١٩) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الآفاق، ص٤٣.

(٢٠) المصدر نفسه، ص٤٤.

(٢١) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٢٢) ينظر: اسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير، مراجعة: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، دار الإمام مالك، الجزائر، ٢٠١٣م، ج٤، ص٥٨٨.

(٢٣) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الآفاق، ص٤٩.

- (٢٤) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الآفاق، ص ٥١.
- (٢٥) ينظر: محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الآفاق، ص ٥٦، ٥٧.
- (٢٦) المصدر نفسه، ص ٦١.
- (٢٧) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الآفاق، ص ٥٩.
- (٢٨) المصدر نفسه، ص ٦٥.
- (٢٩) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الآفاق، ص ٦٦.
- (٣٠) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الآفاق، ص ٧٢.
- (٣١) المصدر نفسه، ص ٧٦.
- (٣٢) المصدر نفسه، ص ٧٦.
- (٣٣) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الآفاق، ص ٧٩.
- (٣٤) إسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير، مراجعة: محمد ناصر الدين الألباني، ج ٣، ص ٨٢٣.
- (٣٥) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الآفاق، ص ٨٤.
- (٣٦) المصدر نفسه، ص ٨٧.
- (٣٧) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الآفاق، ص ٧٠.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نتديء به القرآن الكريم

- المصادر:

١. محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الآفاق، ط ٢، دار المكتبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ٢٠٠٥.

- المراجع:

١. ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دط، دار المعارف، القاهرة، دت، مجلد ٥، ج ٣٨،
٢. ابن كثير إسماعيل، تفسير ابن كثير، مراجعة: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٣، دار الإمام مالك، الجزائر، ٢٠١٣م، ج ٤،
٣. أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد، دط، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ج ١،

(١٣٨) جهود الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي في التفسير العلمي للقرآن الكريم

٤. الخالدي صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط٣، دار القلم، دمشق، ١٤٢٩ هـ،
٥. الخولي أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ط١، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦١،
- الذهبي محمد حسين، التفسير والمفسرون، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج٢،.
٦. الطباطبائي محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، تصحيح: حسين الأعلمي، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت، ١٩٩٧،
٧. الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، دط، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣ هـ، ج١.
٨. قلعه جي محمد الرواس، معجم لغة الفقهاء، ط٢، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨،

– الرسائل الأكاديمية

١. نضال يوسف أبو ميالة، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين الدكتور محمد راتب النابلسي والدكتور زغلول النجار. دراسة مقارنة، رسالة ماجستير في أصول الدين، بكلية الدراسات العليا، جامعة الخليل، ٢٠١٩.

– المواقع الإلكترونية:

١. الشايع محمد عبد الرحمان، مقال: التفسير بمكتشفات العلم التجريبي بين المؤيدين والمعارضين، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد٤، من ص٢٠ إلى ٥٤. رابط المقال: <https://www.alukah.net/sharia/0/385> / تاريخ الإضافة: ٢٠٠٧/٢/٧، تاريخ الزيارة: ٢٠٢١ / ٤ / ٢٧
٢. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، محمد راتب النابلسي، تاريخ تعديل الصفحة ٢٦ أبريل ٢٠٢١، تاريخ الزيارة ٢٧ أبريل ٢٠٢١م، الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7%D8%A8%D9%84%D8%B3%D9%8A